مجمعيون شعراء
للأستاذ محمد عبد الغني حسن

قد يجتمع الشعر بخياله الواسع وآفاقه المحلقة مع اللغة (*) والنحو بدراساتهما المنهجية المتزمتة .

ومنذ البدايات الأولى لظهور اللغويين والنحاة رأينا أن بعض علماء هذين العلمين قد انقاد لهم الشعر ، وذل لهم عصيه ، فنظموا وحلقوا فى الخيال ، وأثر عن كثير منهم الأبيات السائرة ، والأشعار المستحسنة . ونستطيع فى هذا المقام أن نعد عشرات من اللغويين القدامى الذين دخلوا ميدان الشعر بجانب المجال اللغوى فأجادوا فيه . ومن هؤلاء اللغويين الشعراء : الخليل بن أحمد ، وابن السكيت ، وابن فارس صاحب «المجمل» و «المقاييس» وابن خالويه ، وأبو سعيد السيرافى ، ومكى ابن أبى طالب القيسى القيروانى ، صاحب « الكشف عن وجوه القراءات السبع » ، و «مشكل إعراب القرآن » وغيرهما ، وأبو عبد الله المالقى القرطبى وغيرهم . وهل ننسى الأبيات الرفيعة التى قالها « الخليل بن أحمد » حينما طلبه الخليفة سليمان بن عبد الملك للوفود عليه فى حضرته ، فاعتذر فى شمم العالم المعتز بالله قائلا :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة   وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سخا بنفسى أنى لا أرى أحدا   يموت هزلا . ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر ، لا الضعف ينقصه   ولا يزيدك فيه حول محتال

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

وهل ننسى (ابن فارس) اللغوى الذى عز عليه أن يشكو حاجته ، فقال فى عزة الغنى بالله :

وقالوا كيف حالك ؟ قلت خير   تقضَّى حاجة ، وتفوت حاج
إذا ازدحمت هموم الصَّدر قلنا   عسى يومًا يكون لها انفراج ؟

وهل ننسى « ابن السِّكيت » الذى نسب إليه صاحب (شذرات الذهب) البيتين التاليين :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه   وليس يُصاب المرءُ من عثرة الرِّجل
فعثرته بالقول تُذهب رأسه   وعثرتُهُ بالرِّجل تبرا على مهل

وهل يغيب عن بالنا قول « ابن خالويه » المنطوى على الحكمة :

إذا لم يكن صدر المجالس سيدا   فلا خير فيمن صدَّرته المجالس
وكم قائل : مالى رأيتك راجلا   فقلت له من أجل أنك فارس .

وهل يفوتنا البيتان البديعان فى الحث على الإقلال من الزيارة « لمكى ابن أبى طالب » ، مع الاستشهاد المحكم الدقيق بمثال من الواقع المحسوس ، وهما :

عليك بإقلال الزيارة إنها   إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يُسأم دائبًا   ويُطلب بالأيدى إذا هو أمسكا ؟

وأخيرًا هل يضيع منا قول « أبى عبد الله المالقى القرطبى » – النحوى اللغوى – فى حسن الظن بالله ، والأمل العظيم فى جميل إحسانه فى الغد ، كما أحسن بالأمس ، حيث يقول :

سهرتْ أعينٌ ونامت عيون   لأُمور تكون ، أو لا تكون
فاطرح الهم ما استطعت عن النفـ   ـس فحملانك الهموم جنون
إنَّ ربًّا كفاك بالأمس ما كا   ن سيكفيكَ فى غد ما يكون ..

وبعد : فهذا مدخل لم يكن منه بد للدخول على موضوع « المجمعيون الشعراء » وهم – بارك الله فيهم – مظنة أن لا يجمعوا بين اللغة والشعر ، ولكنهم جمعوا فكتب الله لهم التوفيق فى المجالين .

وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقى أحق بالدخول فى مجمعنا قبل أن يلجه من الشعراء والجنّ ، وكان أولى بأن يكون واحدًا من أفراد فوجه الأول سنة ١٩٣٣ لولا أن المنية أدركته سنة ١٩٣٢ ، فحُجب عن ساحته .. وبهذا حُرم المجمع نعمةَ الظفر بشاعر لم تجد به العروبة منذ ألف عام .

ونستهل الحديث عن شعراء المجمع « بإبراهيم المازنى » ، ولو أنه دخل الحرم المجمعى سنة ١٩٤٧ متأخرًا عن زميله « على الجارم » الذى دخل المجمع فى أول فوج سنة ١٩٣٣ ، وعن رفيقه ، وزميله « عباس محمود العقاد » الذى دخل المجمع سنة ١٩٤٠ ، « والمازنى » جدير بأن يتبوأ مكان الصدارة فى الحديث عن المجمعيين الشعراء ، بشهادة العقاد له فى المقدمة التى كتبها للطبعة الثانية من ديوان المازنى الذى نشره المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦١ حيث يقول : (وللمازنى أسلوب خاص لا يدلك على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التآلف الذى تجده بين قلمه ونفسه ، فإن قلمه يتحرّى الفخامة فى اللفظ والروعة فى حوك الشعر ، كما تتحرى نفسه – على لطافتها – الفخامة فى المشاهد ، والروعة فى مظاهر الكون والطبيعة) .

وما أصدق المازنى وهو يحدثنا عن « الشعر » وقيمته فى مقطوعته : (قبر الشعر) التى يقول فيها :

ليت ديوانى يكون له … من بديع الزهر تيجان
فكأنّ الشعر فى جدث … فوقه وردٌ وريحان
يا لها من جفرة عجب … كلُّ ما تطويه أشجان
كلُّ بيت فى قرارته … جثةٌ خرساءُ مرنان
خارجًا من قلب قائله … مثلما يزفرُ بركان

وإذا كان الجزء الأول والثانى من ديوان المازنى قد طبعا فى حياة الشاعر وصنعا على عينه ، فإن الجزء الثالث قد طبع سنة ١٩٦١ بعد وفاة المازنى ، وقد

كان مجموعًا عند شقيقه أحمد عبدالقادر الذى قدمه إلى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، فتولى المجلس إصداره بمراجعة الشاعر « محمود عماد » وضبطه وشرحه . وبهذا ظهرت أجزاء ديوان المازنى الثلاثة فى مجلد واحد .

ومن الغريب أن الشاعر المجمعى « المازنى » رضى عن شعره أول الأمر ، ثم أنكره بعد ذلك وهجره ، ثم أعرض عن نظم الشعر جملة وتفرغ للنثر ، ولكن شعره الخالد لم يهجره ، بل ظل منتميًا إليه ، منسوبًا له ، لصيقًا به التصاق الابن بأبيه ، والمرء بذويه ..

ويجرنا الحديث عن « المازنى » المجمعى الشاعر إلى رفيقه وزميله المجمعى الشاعر : « عباس العقاد » . وللعقاد رأى فى الشعر والشاعر جاء فى خلال قصيدته (الحب الأول) حيث يقول :

إنى أَلوذ بشعرى حينَ يطرقنى ... من الطوارق نزّال وضيفان
والشعرُ من نفس الرحمن مقتبسٌ ... والشاعر الفذُّ بين الناس رحمان
الحب والشعر دينى والحياة معًا ... دِينٌ لعمرك لا تَنفيه أديان
هى الحياة جنينُ الحب من قِدم ... لولا التجاذبُ ما ضمتك أكوان
والشعر ألسنة تُفضِى الحياةُ بها ... إلى الحياة بما يطويه كتمان

وعلى الرغم من حركة (الديوان) التى قام بها العقاد مشتركًا مع المازنى فى الحملة على (شوقى) الشاعر بوصفه الرمز الذى تمثلت فيه كل خصائص الشعر التقليدى القديم ، لم يُسقط شعر المناسبات من حسابه إذا ما عُنى الشاعر فيه بأصالة الفكر والشعور . وبهذا أتاح العقاد لنفسه ولتلاميذ مدرسته أن ينظموا فى المناسبات على شريطة ألّا يجعلوا منها معرضًا لتأنق الصناعة وبراعة الأسلوب وحسب ، على نحو ما كان يفعل القدماء ، بل على شاعر المناسبة أن يرتفع بها من مقام الخصوصية والذاتية إلى مستوى الشعور الإنسانى العام فإن العناية فى الشعر بالصياغة وحدها لا تنتج شعرًا له قيمة ، وإنما تنتج جُملًا جيدة الوصف ، ميتة الشعور .

والحق أن الحملة القاسية التي قام بها العقاد على المدرسة القديمة للشعر العربي ، وعلى « أحمد شوقي » بالذات كانت تجنح في كثير من الأحيان إلى الجرح والتجني على أمير الشعراء ، ولكنها أنجبت لنا شعراء أفادوا من توجيهات العقاد والمازني وملاحظاتهما ، مع عدم المساس ببناء القصيدة العربية التقليدية : وإن كان بعض الشعراء المتحررين انتهزوا الفرصة ليتخلصوا من قيود الوزن والقافية .. وتلك قضية لا نتعرض لها اليوم لأنها لا تدخل في موضوع بحثنا .

وقد انفرد « العقاد » في شعره بالأصالة وعدم التقليد ، فهو في الشعر العربي كيان متميز وحده ، ومن هنا أكبره الدكتورطه حسين وقال عنه : (إني أكبر العقاد لأني إذا قرأت شعره مرة ومرة ومرة ، لم أستطع أن أقول لنفسي : قد قرأت هذا الكلام من قبلُ ، أو أين قرأت هذا ؟أفي شعر البحتري ؟ أم عند أبي تمام ؟ أم سبق أبو نواس إلى مثل هذا الكلام ؟كلّا ! إنما تقرأون العقاد فتقرأونه وحده ، لأن العقاد ليس مقلدًا ، ولا يستطيع أن يقلد ،ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية العقاد فوق الفساد ..) .

وعلى الرغم من أن « المازني » زهد في الشعر وخلَص للنثر ، وأن عبد الرحمن شكري زهد في الشعر وفي النثر وفي الناس وفي الحياة كلها ، فإن « العقاد » ظل مواليًا للشعر والنثر على حد سواء ، فما أجبل ولا نضبت قريحته ، كما ظل وفيًّا لأصدقائه وزملائه المجمعيين . وكأنّ دموعه وهو في المجمع كانت وقفًا على رثاء الراحلين من أعضائه . وما زالت محاضر جلسات المجمع وصفحات مجلته حافلة بمراثيه لأحمد لطفي السيد ، والدكتور محمد حسين هيكل ، ومصطفى عبدالرازق وعبد القادر حمزة ، وإبراهيم المازني ، وعلى الجارم . كما أن دواوينه حافلة بمراثيه للزعيم محمد فريد ،وسعد زغلول ومحمد محمود ، والكاتبة النابغة مي زيادة وأحمد ماهر ، وهدى شعراوي ، ومحمود فهمي النقراشي ، وحافظ إبراهيم ، والأديب محمد السباعي وغيرهم من شوامخ مصر الحديثة .

ويحملنا اعتبار (الأقدمية) فى دخول المجمع على الحديث عن الشاعر المجمعى : «على الجارم» . وللأقدمية اعتبارٌ فى التسجيل ، وإن كان ليس لها اعتبار فى التقدير والتفضيل . ولم يكن «الجارم» هو الشاعر الوحيد الذى ظفر بعضوية المجمع فى أول فوج سنة ١٩٣٣ ، فقد كان من العشرين المعيَّنين الشيخ محمد الخضر حسين الذى صار فيما بعد سنة ١٩٥٢ ، شيخًا للأزهر . وهو شاعر وله ديوان طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٧ ، ثم أُعيد طبعه من عهد قريب، وعنوانه (خواطر فى الحياة) .

ولقد نظم أُستاذنا «الجارم» الشعر وهو طالب فى الأزهر ودار العلوم ، وفى إنجلترة ، وبعد عودته من البعثة ، وظل حياته كلَّها مواظبًا على نظم الشعر ، لم يتخل عنه لحظة واحدة ، بل شاء الله أن تدركه منيته فجأةً وهو يصغى إلى ولده (بدر الدين) وهو يلقى قصيدة والده فى حفل تأْبين الزعيم محمود فهمى النقراشى سنة ١٩٤٩ م .ونظم « الجارم » الشعر فى أغلب الأغراض المعروفة فى دواوين العرب فمدح ، وهنأً ، ورثى ، ووصف ، وتغزل وافتخر . ولم يدع مناسبة إلا قال فيها وأبدع. ولعله من أوائل شعرائنا الذين ارتفعوا (بالمناسبة) إلى مستوى الأصالة الفكرية والشعور الإنسانى العام، مما جعله مرموق المكانة على الرغم من النظر الشزر الذى كان يوجهه إليه أصحاب المدرسة الحديثة ... والحقُّ أن الجارم استطاع فى ذكاءٍ عجيب أن يوائم بين المدرسة التقليدية فى الشعر ، وبين متطلبات المدرسة الحديثة . وقد ظهر هذا جليًّا فى ديوانه (سبحات الخيال) الذى جمعه ولده « بدر الدين » ونشر فى مجموعة (فى ظلال الوحى) الصادرة عن دار المعارف سنة ١٩٦١ . ولم يفت العقاد – رحمه الله – وهو يقدم «لسبحات الخيال» أن يشير إلى هذه المواءمة بين السلفية والعصرية عند الجارم أن يقول : (إن الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بملامحها ، وأن تَسْتَقِلَّ بعنوانها ... إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة دار العلوم . . . فالدرعمىُّ لغوى عربى سلفى ، عصرى ولكن على منهج فريد فى بابه بين مناهج المعاهد السلفية والمدارس الافرنجية ، وبين – مناهج المحافظة والتجديد ،ومناهج الابداع

والتقليد . . ولايسعك وأنت تقرأ قصيدة لشاعر من أركان المدرسة الدرعمية أن تحجب فكرة « اللُّغة » عن خاطرك ، وأن تنسى أن قائل هذا الشعر يثبُتَ على القديم وإنْ أخذ بنصيبه من الجديد ، وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم . . .) . ولعل رأْى « الجارم » نفسِهِ فى قضية الشعر يوضح لنا القيمة الحقيقية لكل شعر جيِّد حيث يقول :

دولةٌ قامت تنـــاغى دولةً ... فنعمنـــا فى ظلال الدولتين

ربَّما فى الشعر قامت صفحة ... بالذى يعيا به ذو الصفحتين

إنمـــا الشــعر على كثرته ... لاترى فيه سوى إحدى اثنتين

نفحة قــدسيةٌ أو هــذَر ... ليس فى الشعر كلام بين بين

وبعد ، فإن ديوان (سبحات الخيال) «لعلى الجارم » ليس شعرًا جديدًا له ، بل كل ما فيه جاءَ فى الأجزاء الأَربعة ـ لديوان الجارم ، ولكن ولده الألمعى أراد أن يرد ردًا عمليًا على الذين كانوا يتهمون والده العظيم بشعر المناسبات التقليدى ، فانتزع من ديوان أبيه قصائد ومقطوعات تدل على الشعر العاطفى والوجدانى والإنسانى عند أبيه ، وتؤكد أن المناسبة عند «الجارم» ترتفع عن المستوى الذاتى المحض إلى مناط الشعور العام ...

وإذا كان « الجارم » يرقُّ فى غزله إلى حد قوله فى « الكافيَة » التى تغنيها أُم كلثوم :

مالى فتنت بلحظك الفتــاك ... وســلوتَ كل مليحة إلَاك

يُسراك قد ملكت زمام صبابتى ... ومضلتى وهــداى فى يمناك

فإذا وصلتِ فكلُّ شىءٍ باسمٌ ... وإذا هجرتِ فكل شىءٍ باكى

فإنه يصلُبُ ويشتد حين يدعو إلى العزم والتسامى نحو القمم فى قوله :

كَتَب الله أن يعيش غريبــا ... كلُّ ذى دعوة إلى الحق ناء

لَا ترى فوق قمة الطَّـود . إلَّا بطلًا لايهاب هول صعابه
كل ذات الجناح طير ، ولكن عرفَ الجو نسره من غرابه

وإذا كانت جنبات مجمعنا هذا – فى مختلف الدُّور التى سكنها – قد دوَّت بشعر « الجارم » وصوته وإلقائه الجميل المعبر على منابره ، فإن المجمع لا ينسى له قصائده العُصْم فى افتتاح الدورة الثانية سنة ١٩٣٤ ، والدورة الثالثة سنة ١٩٣٥ ومرثيته لأُستاذنا الشيخ أحمد الإسكندرى والشيخ حسين والى ، والمستشرق نالينو سنة ١٩٣٩ م .

وقد شاء الله ألَّا يُحرم المجمعُ شاعرًا جهير الصوت عالى المكان ، يسد المكان الذى كان يشغله « على الجارم » . ولم يطل أمد الانتظار ، فبعد عشر سنوات من وفاة الجارم – وبالتحديد فى سنة ١٩٥٩ – دلف إلى محراب الخالدين الشاعر « عـزيز أباظـة » ، دخـل بأُسلوبه العربى المشرق ، وبيانه الناصع ، وفكره الوضاء ، وكأَنه واحد من مدرسة دار العلوم – أو مدرسة الدراعمة – التى أشار إليها العقاد فيما سلف من قول ؛ مع أنه من رجال القانون والحقوق ، ولكن الله يُعطى ما يشاءُ لمن يشاءُ ... فأَعطى (عزيز أباظة) ذلك البيان وذلك الإشراق وتلك الفحولة فى الشعر التى كادت تضيع بعد « أحمد شوقى » . وبهَر « عزيز أباظة » الناس وفجأهم بديوان يُعدُّ لونًا جديدا فى دواوين الشعر العربى . هو ديوان (أنات حائرة) الذى ظهر فى سنة ١٩٤٣ ليقول للناس : إن هذا أول ديوان كان كله وقفًا على رثاء زوجة ، ورفيقة عمر وشريكة حياة .. وأكبر الناس هذا الصنيع من شاعر جعل رثاءه لقرينته الراحلة براعة استهلاله . وقدَّم طه حسين (أنات حائرة) بكلام مؤثر قال فيه : (لا عليك يا سيدى ! احتمل حزنكَ كما احتملتَه إلى الآن جلْدًا كريماً ، ورفِّه على نفسك كما فعلتَ إلى الآن بمثل هذا الشعر الذى أقلُّ مايوصف به أنه يرفعك عن الأثرة ، ويجعل من مصابك غذاءً لبعض النفوس ، وعزاءً لبعض القلوب ...) .

وكان من حظى حينما أهدى إلى «عزيز أباظة» ذلك الديوان الحزين أن أستقبله ببحث واف فى إحدى مجلاتنا العربية عن «رثاء الزوجات فى الأدب العربى» . ومن هنا توثق الود بينى وبين عزيز أباظة ثم ازداد الود حينما عملت معه وتحت رياسته عضواً فى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى ، للفنون والآداب .

وكأنَّ مجمع اللغة كان روضًا أغنَّ لشاعرية « عزيز أباظة » ، وتجلى ذلك فى مراثيه الخالدة لزملائه المجمعيين : العقاد ، ورضا الشبيبى ، وعلى عبد الرازق ومحمد على النجار ، وأحمد حسن الزيات والدكتور مصطفى القللى ، والفاضل ابن عاشور ، والدكتور عبد الرزاق السنهورى .

وإذا كان « عزيز أباظة » قد أثرى الشعر بمسرحياته التى منها قيس ولبنى ، والناصر ، وغروب الأندلس ، والعباسة وغيرها ، فإنه يعد الرائد الثانى — بعد شوقى — للمسرح الشعرى الحديث .

لقد أَلِفَ « عزيز أباظة » منذ ماتت زوجته البكاء والرثاء ! فهو يبكى زوجته فى « أنات حائرة » ، ويرثى بعد ذلك زملاءه فى المجمع وغير المجمع ، وكأنه نَذَر حياته للدموع . ولعل من أحر دموعه قصيدته (ذكريات) التى يقول فى المقطع الأول منها :

يذكرنيكِ كلُّ جليل أمر ... ومن يسيره فتـذوب نفسى
إذا سكب الصباح فأنت همى ... وإن وقَب المسـاءُ فأنت أُنسى
جمعتِ على الهوى طرفى نهارى ... كأنى لم أُرَعْ بنـواكِ أمسِ
رعـاكِ الله ما فارقتِ روحى ... وإن فارقتِ بعض الوقت حسى
أراكِ كما رأيتك حين كنّا ... على حرم الصِّبا نُضحى ونمسى

وما دمنا فى معرض الحديث عن شعراء الديباجة والرصانة فى مجمعنا ، فلن يفوتنا الوقوف قليلاً أمام السيد « حسن القاياتى » وقد نبغ فى نظم الشعر فى سن مبكرة .

ونشر الجزءُ الأَول من ديوانه سنة ١٩١٠ وهو فى السابعة والعشرين ؛ حتى جاز لنا أنه نلقبه (النابغة القاياتى) نسبة إلى بلده « القايات » من أَعمال مديرية المنيا . وإذا كنا ألفنا أَسماءَ محبوبات الشعراء القدامى ، من مثيلات هند ، ودعد ، وليلى ، وعزة ، وبثينة ، فإن القاياتى شبب بمحبوبته : (إحسان) ، وهو اسم جديد فى سجل شعراءِ الغزل ...

ولما حظيتُ بنشر شعرى فى (الأَهرام) منذ سنة ١٩٢٧ تحت لقب : «شاعر — الأَهرام » ، كان شيخنا « القاياتى » ينشر شعره فى الأَهرام أَيضا تحت توقيع (حسن القاياتى . السكرية) ، وهو الحى الذى كان يسكنه قريبًا من ميدان باب الخلق . ولم يثنه عمله بالمجمع عن نشر الشعر — وخاصة المقطعات — فى صحف ذلك العهد . ومن أوائله أنه كان من شعراءِ العرب السبَّاقين إلى وصف المخترعات الحديثة مثل التليفون ، والتصوير الفوتوغرافى ، والمركبات التى تتهادى فى الجزيرة بالحسان والفونوغراف الذى أَسماه : (مسمعة الغناءِ) ، ولكنه سُمى (الحاكى) بعد ذلك ... ومن رقيق شعره فى المركبات والحسان الراكبات فيها قوله :

تملَّكَ ظبىٌ بالجزيرة لُبَّهُ فما عتبُهُ والمالكُ القلب غالبهْ
مراكب مثلُ السحب خَيَّبن ظَنَّه ذواهب عدوًا . أَبخَلُ الغيم ذاهبُه
تعلَّنَ لمن يُلقِى شِباك لحاظِه رُويدكَ ! لا يقتلْك ما أَنت ناصبُه !
يطأنَ الثَّرى لينًا : فلو كان وقعها على زئبق غضٍّ لما ارتجَّ ذائبُهْ ..

وقد جمع « القاياتى » بين أَناقة المظهر وأَناقة الشعر . وهو تأَنق لم أَلقه إلَّا فى الشاعر « محمد الأَسمر » . وكان على عفة لسانه فى الحديث هجَّاءً مفحشًا فى الشعر . ولم يكن ذلك لطبع فيه ، وإنما كان يصنعه على سبيل (رياضة النفس) كما يقول فى ديوانه ، وكما كان يفعل كبار الشعراءِ قبيل عهده من أَمثال البارودى ، وإسماعيل صبرى . ولم يقف القاياتى — ولو مرة واحدة — على منبر المجمع ليلقى شعرًا كما كان يصنع « على الجارم » و « عباس العقاد » ، و « عزيز أَباظة » .

ويدخل معنا فى مجال الشعر الرصين الدكتور « عبد الوهاب عزام » . ولكنّ لشعر عزام مذاقا خاصًا وجوًا خاصًا وفكرًا خاصًا ؛ تأثر فيه بدراسته للشعر الفارسى والتركى . فقد ترجم « بيام مشرق » لمحمد إقبال عن الفارسية ، كما ترجم له « ضرب الكليم »، وديوان « الأسرار والرموز » . وعلى الرغم من صلات «عزام» بالمجتمع ، وخاصةً فى أثناء اشتغاله بالسلك السياسى ، فإننا لا نراه شاعر مناسبات على الإطلاق، بل نراه وقد غمر نفسه فى لجج التصوف والفكر العربى الإسلامى . وحين أصدر ديوانه : (المثانى) سنة ١٩٥٤ قدّم له العقاد بمقدمة واعية توضح ما بين التصوف وبين السياسة فى أشرف معانيها من روابط .وتصوُّفُ « عزام » لاينعزل عن الحياة ولا يهرب من غمراتها ، وفى الوقت نفسه لا ينكُص عن المعالى ، بل يجعلها سلمًا إلى حياة فاضلة . . وكلُّ رباعيات « عزام » و « مثانيه » من البحر الخفيف ، إلّا الرباعية الثالثة ، والرابعة فهما من « الرمل » . ولعله اختار الخفيف لسهولة تقليب المعانى عليه . وتكشف لنا الرباعية التاسعة عن بواعث الشعر الظاهرة والخفية التى لا يحيط بها الشاعر :

يَنبع الشعر والشواغل شتّى ... كانبجاس المياه بين الرمال
تُبصِرُ الماء صافيًا لستَ تدرى ... كم فيافٍ سرى بها وجبال!

و « عزام » مثل « حسن القاياتى » لم يشترك فى مناسبة واحدة من مناسبات المجمع بقصيد أو ببعض القصيد .

ومن شعراء المجمع حفنة كريمة لم يهتمّ واحد منهم بجمع شعره ، أو ضَمْنه فى ديوان أو أكثر ، كما صنع «على الجارم » و « العقاد » ، و « عزيز أباظة » ، وحتى (المازنى) الذى زهد فى الشعر بعد جمعه شعره فى الجزأين الأولين منه ... ومن هذه الحفنة « طه حسين » ، و « مصطفى عبد الرازق » ، و « الفاضل بن عاشور التونسى » ، و « عبد الفتاح الصعيدى » والدكتور « إسحاق موسى الحسينى »

ممثل فلسطين ورمزها الخالد فى مجمع الخالدين .. وقد كان طه حسين ينظم شعرًا تقليديًا حسن الصياغة ، وينشره فى العقد الأول من هذا القرن فى صحافة ذلك العهد . كقصيدته التى نشرها سنة ١٩٠٩ مخاطبًا الإنجليز :

تيمَّموا غَير وادى النيل وانتجعوا   فليس فى مصر للأَطماع متسعُ
كُفُّوا مطامعكم عنا ! أَليس لكم   ممَّـا جَنَيْتُمُ وما تجنونه شِبع ؟

ولكنه ترك نظم الشعر جملة ، وإن كان قد تناوله بالعرض والنقد والدراسة والتحليل بعد ذلك ، كما فعل فى «حديث الأَربعاء » ، و « من حديث الشعر والنثر» و « حافظ وشوقى » ، و « مع المتنبى » وغيرها . وظل حب طه حسين للشعر يتمثل فى رواية البيت أو الأَبيات المؤثرة فى مواطن الاستشهاد .

أَما الشيخ « مصطفى عبد الرازق » فكان يقرض الشعر فى شبابه ، كتهنئته لأُستاذه الشيخ محمد عبده التى نشرت فى « المنار » سنة ١٩٠٣ ، ومرثيته لوالده حسن باشا عبد الرازق سنة ١٩٠٧ . وقد كان شعره واعدًا بمستقبل عظيم ، لولَا أنه انصرف عنه فى أثناء طلبه العلم بفرنسا ؛ ولما كتب إليه شقيقه (على) يسأَله عمَّا صرفه عن الشعر أجابه قائلًا : (إننا شُغلنا هنا بالحقيقة عن الخيال ...) .

أَما « الفاضلُ بن عاشور » فكان ينظم الشعر ، ويعمل الأَناشيد استجابة لدواع وطنية وقومية عالية حتى سنة ١٩٣٩ ، ولكنه انصرف عنه كما جاء فى كتابه : (تراجم الأعلام) المطبوع بتونس – سنة ١٩٧٠م . ويتواضع ابن عاشور فيقول رحمه الله : (ولست مدعيًا أَنى شاعر ، وإن تعاطيت نظم مقاطيع وقصائد كنتُ راضيا عن بعضها أَحيانًا) ...

أَما « عبد الفتاح الصعيدى » فكان فيه قدرة على نظم الشعر ، وإن كانت الموهبة لم تتجل فيه واضحة كشعراء المجمع الآخرين ... وحين تغلبهُ المناسبة كان يستجيب للشاعرية الكامنة فيه . ولعل داليَّته التى أَلقاها فى مؤتمر المجمع ببغداد سنة ١٩٦٥ هى الأَثر الباقى من أَشعاره ...

والذى أعرفه من صديقى وجارى فى مؤتمرات المجمع الدكتور « إسحاق موسى الحسينى » أنه شاعر وإن كان مقلًا . وفيه قدرة على الارتجال حين يقتضيه الموقف . ففى مؤتمر الدورة السادسة والأربعين لسنة ١٩٨٠ رأيته يستعير قلماً ويسجل على ورقة كانت معه أبياتا حضرته بمناسبة ختم أعمال المؤتمر ، وإذا به يلقيها علينا فى تأثر عميق ، لغياب بعض إخواننا العرب عن شهود لقائنا قائلًا :

فى كل عام لنا فى مصر مأدبة   غنية بغذاء الروح والجسد
فلتبق مصر على الأيام شامخة   تزداد فخرًا بلا حد ولا عد
وليبق مجمعنا للعُرْب مئذنة   تذاع من فوقها الفصحى إلى الأبد

وأذكر من شعره الوطنى الرائع قوله :

أحبب بلادك واعشق ريح تربتها   فالروح من روحها والجسم من تُرْب
طوفت فى الأرض لم أعثر على بلد   يحكى محاسنها فى الشرق والغرب

سادتى : كنت قد أسلفت القول عن مدرسة أسماها العقاد : (مدرسة دار العلوم أو مدرسة الدراعمة) فى معرض تقديمه لديوان « سبحات الخيال » لعلى الجارم . وقد رأيت من باب الوفاء للحق أن أشير هنا إلى ثلاثة من أعلام هذه المدرسة ، يسعدنى أن أجىء تاليًا لهم ، وأن أكون رابعهم . وهم : على الجندى ، ومحمد خلف الله أحمد ، رحمهما الله ، والدكتور محمد مهدى علام بارك الله فى عمره .

ولقد كان « على الجندى » شاعرًا من رأسه إلى قدمه ، وكان يتميز بالأسلوب الناصع والديباجة المشرقة . وقد أعانته كثرة محفوظه من الأدب العربى ، وقوة حافظته أن يدير الأفكار والمعانى فى شعره على أفانين من القول ، فلا تخطئه عبارة ، ولا يخونه استعمال ، ولا تعز عليه قافية . وأمامى وأنا أكتب هذا البحث دواوينه الثلاثة : أغاريد السحر ، وألحان الأصيل ، وترانيم الليل ، وكلها تدل على شاعرية محلقة ، وأستاذية فى الشعر متمكنة . والحق أن على الجندى كان

شاعرًا فى مشيته ، وفى حركاته ، وفى نبضه ، وفى نطقه .والحق أن الاستشهاد بشعره هنا هو عمل شاق محيِّر ، فالمرءُ يتحير أىَّ شعر يأْخذ ، وأيه يدع .

ولكن الذى يحضرنى هو قصيدته « صورة الرحمة » التى صنعها وقدمها إلى الطبيب الجراحى الدكتور «ألبرت دوس » حينما تولى علاج ابنته (خالدة) فكتب لها الله الشفاء على يديه ، وفيها يقول :

فتى الطبِّ ! صُنعُكَ لَا يُكفَرُ ... لدىَّ وفضــلُك لَا يُنكر
أحطتَ ابنتى بضروب الحنان ... ورحتَ على عمــرها تسهر
وكنت لهــا فوق ما يرتجى ... من الوالد الولدُ الأَصــغر
فأَنقــذتها والردى ناشب ... بمهجتهــا ظُفْرُهُ الأَحمــرُ
وأَنقــذتَ نفسى بإِنقاذها ... وأَنت بحبى لهــا أَخــير
وأَولادُنا ثمــراتُ الفــؤاد ... بهم عيشــنا ناعمٌ أَخضــر
أَجىءُ إِليك مُعنَّى الحشــا ... ودمعى على وجنتى يقطــر
وأَرجــع والنفس ريَّانَةٌ ... ســرورًا ، ووجهى مستبشر
شكرنا « لأَلبرت » معروفه ... ومعــروفه عنــدنا يُشكر
ثنــائى عليه ثنــاءُ الرياض ... تعهَّــدها العــارضُ الممطر
يقــلده الشــعر أمداحه ... وقلَّ له الــدرُّ والجوهر

ولا أذكر بعد هذا شيئًا من شعر على الجندى ، فكل شعره حرى أن يذكر ، وألَّا يتطرق إل ه إغفال أو نسيان ، ولكن الذى أذكره أننى فى يوم تأْبينه بالمجمع سنة ١٩٧٣ رثيته بقصيدة باكية ، منعتنى من إلقائها علةٌ حسبتها القاضية ، وتفضل بإلقائها نيابة عنى الزميل الكريم الأُستاذ محمد شوقى أمين ، بارك الله فى عمره ، ولم أكن يومئذ قد ظفرت بشرف الانتماء إلى مجمع الخالدين .

أما العضوان محمد خلف الله ، والدكتور مهدى علام فلم يهتمّا بجمع أشعارهما فى ديوان . وبائية خلف الله التى نظمها وألقاها فى حفل توديعه سنة ١٩٢٩ـ بمناسبة سفره فى بعثة علمية إلى انجلترة تعد من روائع بواكيره التى أكدت شاعريته . وإن كانت سبقتها قصيدته اللامية فى يوبيل دار العلوم سنة ١٩٢٧ ، والتى مطلعها :

ملكتم زمام القول والجمع حافل   فهل بعدكم يختال بالقول قائل

وقد كان خلف الله يتسلى بنظم الشعر بعد ذلك ،ولكنه لم يشتغل به كما فعل الدراعمة الشعراء من أمثال محمود غنيم ، وعلى عبد العظيم ، وعبد العزيز عتيق ، وفايد العمروسى ... وكان يستجيب للمناسبة حين تدعوه. فحين نشرت مجلة الثقافة سنة ١٩٨٢ أبيات أستاذى الدكتور مهدى علام ،وأبياتى فى حادثة تبادل معطفينا على سبيل الغلط ،إثر رحلة من رحلات المؤتمر إلى السويس ، رأينا خلف الله ـوهو حبيس العلة فى منزله بالثغر الإسكندرى ـ يدخل المداعبة الشعرية بينى وبين الدكتور مهدى بقصيدة أسماها « حاشية المعطفين ». نشرها [illegible] ، وخلع علينا من فضله ما شاء أن يخلع .

وللدكتور مهدى علام أشعار ومقطوعات ومطارحات شعرية دار بعضها بينه وبينى . ولن أجيز لنفسى نشرها إلّا إذا أذن لى بذلك. وياليته يجمع شعره المبعثر ويصنع ديوانه على عينه وفى حياته المباركة . وحين يدعى الدكتور مهدى إلى الشعر لا يصرفه عنه صارف ، فهو سريع التلبية لندائه ... وتلك كانت وسيلتى لاستدراجه لنظم الشعر. ومن ذلك ما صنعه حين أهديتُ إليه نسخة (وحيدة)باقية من ديوانى الثانى : (من نبع الحياة) وكانت ممزقة الغلاف . فلم أجد بدًّا من إهدائها مصحوبة باعتذارى فى شعر دعابى ، فما كان منه إلّا أن رد علىّ بأبيات كريمةٍ جاء فيها قوله :

إذا اعتذرت عن التمزيق فى ورق   فذا غلاف للبٍّ صِين فى صحف

والتبر فى تُربه كنز يقدره   العارفو فضله من أقدم السلف

إنّ النضار إذاما شابهُ صدأ   ما زال معدنه رمزًا على الترف

وللدكتور مهدى علام قدرة فائقة على ارتجال الشعر حين تدعو المناسبة. وهنا تسعفه البديهة الحاضرة بما لا تُمده به الروية والإعمال. ولعل من مرتجلاته اللطيفة ما نظمه فى أول جلسة عقدت لممثلى جامعات الجمهورية العربية المتحدة من الإقليمين الشمالى والجنوبى، وكانت ساعة جامعة القاهرة – فى خلال انعقاد الجلسة – تنغم الأجراس ثم تدقُّ كل ربع ساعة دقات يعلو صوتها على أصوات المجتمعين، فأوحت إليه المناسبة على الفور بالأبيات التالية :

سـاعةٌ قد رُكِّبت من فوقنـا ... ماتَنِى فى دقِّهـا أو تسكتُ
كلما دار حـديثٌ بينـا ... دقت السـاعة دقًّا يُعْنِتُ
وإذا ما قـال عضـو كلمةً ... كادت الكِلْمة منـا تفلت
صوتُهـا يعـلو على أصواتنـا ... فكأنّا قد جلسـنا نُنصت !
أنكرُ الأصوات صوت العير.. بل ... أنكَرُ الأصواتِ هـذى الساعةُ.!

ومن أجمل شعر « الروية » عند الدكتور مهدى علام قصيدته اليائية التى استقبل بها مولد ولده الدكتور حسام الدين سنة ١٩٣٤ والتى يقول فيها :

فى انبلاج النهـار أشرقتَ ياطفـ ... ـلى، كما يُشـرق الضياءُ حييًا
مثل عُمر النهار فى الصُّبح تبدو ... ثم تنمو مع النهـار فتيـا
تقطع اللَّيل، والنهـار، وتبقى ... فى بُرود الصِّـبا غلامًا زكيا

بقى أن نستكمل الجولة مع بعض زملائنا الشعراء فى العالم العربى الوسيع ... ففى المغرب نجد الأستاذ « عبد الله كنون » يصدر مجموعته الشعرية الأولى : (لوحات شعرية) سنة ١٩٦٦، ثم يتبعها بعد ذلك بمجموعته : (إيقاعات الهموم) التى صدرت سنة ١٤٠١ هـ. وفى الأولى مثنويات حكمية تذكرنا بمثانى « عبد الوهاب عزام » الصوفية. وقد عالج فيها بعض الشعر الحر، مع ما نعهده من روح المحافظة عنده، لعله يثبت مقدرته على خوض كل ميدان جديد .. وفى مجموعته الثانية شعر دينى،

وشعر للأطفال ، وتأملات فى الحياة حتى ولو كانت من وحى المقابر ... ومن السودان الشقيق نستقبل « أصداء النيل » و « أغانى الأصيل » من شعر الزميل « عبد الله الطيب » .ويبدو صاحبنا نافرًا من الناس مستوحشًا منهم ، كأنه يطوى الضلوع على حذر وحزن عميق ، وإن كان يجد فى الكتاب عونًا على نوب الزمان حيث يقول :

فزعت إلى «الكتاب » ، فكان عونى　　على الأيّام والنُّوب الصِّعاب
وألقيتُ الكتاب يلوحُ منه　　جبينُ الله فى الظلم الرِّهاب
كتومُ السر مطوىٌّ حشاه　　على مثل ابتهاجى واكتئابى

ومن العراق يطالعنا الزميل الشاعر « محمد رضا الشبيبى » سنة ١٩٤٠ بديوانه الذى صدر عن لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٩٤٠ . وشعر الشبيبى مملوءٌ بالوطنيات ، والحكم ، والشعر الاجتماعى ، والأخلاقيات والوجدانيات والوصف والرثاء . كما يطالعنا الأستاذ « محمد بهجة الأثرى » بديوانه (ملاحم وأزهار) الذى طبع فى مصر سنة ١٩٧٤ . ولعل قصيدته : (الشعر) تكشف لنا عن مفهومه له حيث يقول :

ابنُ الحقيقة ، والحقيقةُ نهجه　　والصدقُ فى أرب الحياة خدينُه
العبقرية نَبعُهُ ، والبابليـ　　ـة دنُّه ، وهوى المحبة دينُه

ولا يزال علامتنا الأثرى ينظم الشعر حتى اليوم ، ولا ننسى قصيدته الرائعة التى ألقاها فى مؤتمر الدورة الماضية : التاسعة والأربعين. ولا نعرف للدكتور « عبد الرزاق محي الدين » ديوانًا مطبوعًا ، وإن كنا نعرف عنه الشاعرية الحق أيام الزمالة والطلب فى دار العلوم. ولعل آخر شعر قاله هو مرثيته التى نظمها فى تأبين الدكتور طه حسين بمجمعنا (ديسمبر سنة ١٩٧٣) وقد اعتذر فيها بأنه ترك نظم الشعر منذ سنين عديدة ، ولكنه عاد لينظم رثاءً شعريًّا لطه حسين .(لأن الشعر مدين لطه حسين دينًا لا يُنْسى ...) كما يقول . ثم جاء أخيرًا ليمتعنا بقصيدته اليوبيلية العامرة :

بقي لنا من أرض العروبة لبنانُ وسوريّة . وإذا كان «لعزام »و «عبد الله كنون » مثاني ومثنويات ، ولغيرهما رباعيات ، فلم لا يكون للبنان (سداسيات) ينظمها الدكتور « عمر فروخ » ؟ وعمر في ديوانه البديع : (فجر وشفق) الصادر عن بيروت سنة ١٩٨١ – عربيٌّ صميم ، ومسلم صادق اليقين ، ومؤرخ واع ، وإنسان يفيض بالعاطفة الصادقة والشعور الرقيق ، وشاعر محلق ، ومداعب فكه خفيف الروح .. وهو في غزله عفُّ الضمير والنظر .وقصيدته (فلانة) تدل على ذلك . وهي تذوب رقة ، ولولا أنه نظمها سنة ١٩٤٨ لقلنا : شيخ تصابى !! (ديوانه ص ١٧٢) .

أما الدكتور « أمجد الطرابلسي » فهو من شعراء سورية المحلقين، ولشعره نغمة عذبة مع علو الأسلوب وعمق الفكرة . وآخر شعره ما نظمه وأنشده في باريس سنة ١٩٨٢ على قبر زميله وصديقه الدكتور « حكمت هاشم » مدير جامعة دمشق سابقًا وعُضْو مجمعها اللّغوى ، حيث قال :

أتيتُ « يا حكمة » أبكي ودَّكْ   أذكر عهـدى هٰهنا وعهـدك
أبكي علينـا ، لا عليك وحـدك   هـذا مصيري يا أخيَّ بعـدك
من يا ترى إذا قصـدتُ قصدكْ   يذكر لحدى ، أويزور لحدك؟

وما دمنا قد تحدثنا هنا عن زميلنا الشاعر المراسل الدكتور « أمجد الطرابلسى » ، فلابد لنا من الحديث عن اثنين من السعودية ، وثالث من العراق . فالشاعر حسن عبد الله القرشي قد ازدحمت علينا نفحات شعره الرقيق الذى يمثل نفحات الجزيرة العربية ورياها العطر . والحق أن القرشي جعلنا دائمًا من شعره فى زحام. ويشهد بذلك ديوانه : (زحام الأشواق). وقد يظن أن الأشواق هنا تمثل الشوق إلى المحبوب وحده ما دام الناس قد انصرفوا إلى هذا المعنى. ولكن شاعرنا يؤكد أن مجموعته تمثل ألوانًا من الأشواق المتراكمة .. كالشوق إلى المجهول ، والشوق إلى الحقيقة ، والشوق إلى تغيير الواقع المرير ، الذي يعيشه العرب اليوم ، والشوق إلى مستقبل أفضل للإنسانية :

وإذا كنا نترك للقرشى أشواقه إلى المحبوب وحده لينعم فى رياض الحب كما يشاء ، فإننا لا نجد مفراً من أن نشترك معه فى ندائه للوطن العربى الكبير ، حيث يقول والأمل يملؤه :

يا وطنى البـاكى ! يا وطنى العـربى المطرق فوق الجرح
انهض لا تمكث مهموماً ، يا وطنى سوف يجىء الصبح

أما زميله وزميلنا الأديب السعودى الكبير عبد الله بن خميس ، فقد عرفناه فوق كتبه ودراساته الأدبية الجادة شاعراً يذكرنا بنفحات نجد. والحق أن فيه من صفاء البادية وكرم طباعها شيئاً كثيراً.. وعلى الرغم من غزلياته فى قصائده : حنين ، نجل العيون ، وبلابل الروض ، ويا ليتنى ، وغيرها مما نظمه فى عهود الشباب الزاهرة ، وضر الله أيامها ، فإن مقارعة الأيام علمته أن يطوى أحناءه على انتفاضة أمل كبير فى العروبة ، حيث يقول فى ديوانه الرقيق : (على ربى اليمامة) :

يقول تاريخنا : هل أنتم عرب	وهل نمتكم إلى أذوائها مضـر ؟
وما علمنـا بأن الغيب يرقبنـا	فى موعـد عنده البركان ينفجر
يأتى على البغى إربى فى ضراوته	فيستبيه ، ولا يبقى ولا يـذر

أما زميلنا العضو العراقى العامل بمجمع العراق الدكتور يوسف عز الدين فيمثل الإنسان الطيب الصابر ، الذى تتألق البسمة على شفتيه وفى قلبه جرح عميق .. وتمثل دواوينه وخاصة (فى ضمير الزمن) و (لهاث الحياة) لوحة شعرية صادقة من حياته ، أتمها بكتابه : (من رحلة الحياة). وإذا كان شعره يعكس حبه العميق للناس فإنه قد أكد هذا المعنى بقوله فى مقدمة كتابه هذا : (أنا أحب الناس ، وما دخل قلبى بغض لأحد منهم.. إنى أحاول أن أعوض بحبى للناس وخدمتهم ما فقدته من حنان المجتمع ، وبر الحياة . وما كرهت شيئاً فى حياتى لأن الكراهية مرض يفتك بالنفوس ...) .

وإذا كان لطابع الحزن والألم فى شعر الدكتور يوسف عز الدين أسباب اجتماعية ومعاشية ذكرها هو بصراحة حبيبة فى دواوينه وكتبه، فإنه مع ذلك متفائل مملوء بالأمل كما يقول فى مقطوعته : حياتى ، من ديوانه : « لهاث الحياة » :

سأصمدُ ، لا تلوى أخاكَ حوادثٌ　　أقبّل آلامى بكل حنـــان

وأمسح جرحى باسمًا فى سعادة　　وأهزأ من دهرى وصرف زمانى

وكما اجتمع المهندس الشاعر على محمود طه ، والطبيب الشاعر إبراهيم ناجى منذ عقود من السنين على ساحة الشعر الرومانطيقى ، اجتمع الشاعر المهندس الدكتور « إبراهيم الدمرداش » . والشاعر الطبيب الدكتور « حسن على إبراهيم » اليوم فى مجمعنا على ساحة القريض التقليدى المحافظ . ولا تزال مراثى الدكتور الدمرداش للراحلين من زملائنا ترن فى آذاننا . ومنها مراثيه للأساتذة الراحلين : زكى المهندس وإبراهيم أنيس ، وعباس حسن ، ومحمد خلف الله ، وبدر الدين أبو غازى . كما لا تزال نفحات من قصيدة الدكتور « حسن إبراهيم » فى وقفته أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقصيدته الأخرى فى الروح تهب علينا رقيقة ، فتحملنا إلى عوالم من الإيمان والاطمئنان .

وإذا كان الحب هو الخيط الذى يجمع بين الحياة والشعراء جملةً ، فإنا لا نجد شاعرًا واحدًا من شعراء مجمعنا تخلّى عن الحب ، أو خلا ديوانه من أحرف الحب ، حتى عند شيخنا « محمد الخضر حسين » الذى تجلت آيات حبه فى مرثيته الحزينة لزوجه التى اختارها الله إلى جواره عقب توليه مشيخة الأزهر... ولكنّ أوضح وأجهر ما بدا « الحب » عند زميلنا وصديقنا الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد فى ديوانه (ثم جاء الخريف) الذى صدر عن بيروت من عهد غير بعيد ويشيع الحب فى ديوان الصياد من أوله إلى آخره ، حتى كاد الكتاب يكون غزلًا كله ، إلّا مرثية واحدة لصديق ، وقصيدةً بعنوان : فى قريتى ، وهى صورة بارعة ناطقة للقرية المصرية ، ومحاسن الطبيعة فيها . وأحاديث أهلها وأسمارهم ، وصور الفقر والجهل فيهم .

وبا أصدقه وهو يقول :

وقرية فى صميم الريف هـانئة	من حولها عزبٌ شتّى وغيطـان
سمراء هادِئةَ الأركان تحسدها	مدائن هى للضوضـاء ميدان
فقيرة ليس فيهـا للغنى أثَر	لكنْ لها بكفاح القوم غنيـان
دخلتهـا وشعاع الشمس ممتقع	كأنه عاشق أحبابه بانوا ...

ويبدو لنا « الصياد » فى ديوانه هذا مصرًّا على الحب ، عازمًا على عدم التوبة من الحب ؛ كما تكشف عن ذلك قصيدته : (لن أتوب) التى يقول فيها :

عُـدُّوا علىَّ مـآثمى عُـدُّوا	أنا ما ارتويتُ من الهوى بعـدُ
سـأعيشُ أنهلُ من منـابعه	حتى يضمَّ رفـاتىَ اللَّحـد ...

وصدقَ الدكتور الصَّيّاد ما وعد ! فقد ظل ينهل من ينابيع الحب ، وظل يروينا من أصفى منابعه ، إلى أن اختاره الله إليه ، وهو ما يزال ظمآن إلى الحب الواسع العريض الذى لم يسعفه به غرور الحياة ... !

سادتى : بقى من شعراء المجمع أربعة ، رأينا من عدم الإنصاف للعلم والحق ألَّا نُلمَّ بهم ، ونحن على يقين أنهم عالجوا الشعر وأكثروا من نظمه ، بل كان لبعضهم ديوان مطبوع ، ولبعضهم ديوان مخطوط لم ير النور بعد . فقد كان عبد العزيز فهمى باشا شاعرا قادرا متمكنا من الشعر الجيد وله فيه مأثورات ، وديوانه مخطوط جمعه أحد مريديه ، ولكن عناية الله لم تدركه بالطبع . كما كان الشيخ حسين والى معروفًا بالشعر الجزل الشديد الأسر ، واشتهر فوق ذلك بالشعر التاريخى ، أو التاريخ الشعرى ، الذى كان يبنيه على التاريخين الهجرى والميلادى ، فيلازمه التوفيق فى إصابة التاريخ ، مع إجادة التعبير ، وله فيه ديوان (عصا موسى) .

أما ثالث الأربعة فهو الأستاذ أنيس المقدسى ، وقد كان ينظم الشعر العربى الرصين ، والشعر المترجم عن الإنجليزية ، مع التزام الدقة وعدم البعد عن الأصل . وله ديوان لايزال مخطوطًا .

أما رابع الأربعة فهو الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ،وكان ينظم الشعر ويتسلى به فى كثير من الظروف ، وله فيه مداعبات ومطارحات ، ويكفيه يدًا على الشعر العربى أنه والد الشعراء المهجريين الثلاثة : فوزى ، وشفيق ، ورياض . وله فى رثاء (فوزى) المعروف بشاعر الطيارة ، قصيدة مطولة يقول فيها :

وقفنا لفوزى كل ما كان عندنا   من الأمل البسانى بمسعاه مجدنا

وقد نقض الدهر المروع عهدنا   يقول خليلى : كيف صبرُك بعدنا ؟

فقلت : وهل صبر فَيُسْأَلُ عن كيف ؟

بقى واحد من شعراء المجمع فاجأنا بالأمس بقصيدة رائية جميلة نظمها ، وألقاها علينا صبح الثلاثاء بمناسبة العيد الخمسينى للمجمع هو الزميل الدكتور إبراهيم السامرائى .وقد علِق بحافظتى بيت من أبيات رائيته الرقيقة هو قوله :

أسليلة الأمجاد معذرة   أن قد تخلف عنى الشعر

وليسمح لى الصديق « السامرائى » اللغوى الشاعر ، أن أقول : إن الشعر ، لم يتخلف عنه ،ولم تفارقه الشاعرية منذ أن أبدعها الله فيه ... ولكنه هو الذى قصد - باختياره- أن يتخلف عن الشعر ويتركه انصرافًا منه إلى البحث اللغوى الذى عرفناه منه فى دراساته اللغوية الجادة .

أمّاوقد جذبه يوبيل المجمع إلى خميلة الشعر فنحن ننتظر منه كل رائع وجميل .

ولعل من باب « الشيء بالشيء يذكر » أن نستطرد فنقول : إنه عندما احتفل فى مدينة زحلة اللبنانية سنة ١٩٣٧بإزاحة الستارعن تمثال فوزى المعلوف شاعر ملحمة «على بساط الريح » ،حضر أخوه الشاعر شفيق معلوف صاحب ملحمة (عبقر)

من البرازيل خِصِّيَّةً لهذه المناسبة ليشهد حفل إزاحة الستار عن تمثال أخيه ، ووجَّه الخطاب إلى تمثال شقيقه قائلًا من مقطوعة مؤثرة رقيقة :

فوزى ! ومالى فى الخطوب يدان ⠀⠀ ما هكذا الأخوان يلتقيان

قَرَّبتُ صدرى للعِناق ، فلم أقع ⠀⠀ إلّا على حَجَر من الصوان

وبعد : فيخجلنى أن أقف هنا ، وفى ختام كلمتى مرتجلًا عن أخى وصديقى الشاعر الأردنى الدكتور ناصر الدين الأسد ، وهو شاعر فحل ، ولكنى لسوء الحظ افتقدت شعره كله ، فلم يجمع كما أعلم فى ديوان ، وقد سبق أن ألقى قصيدة فى تونس منذ أعوام ، وكانت رائعة من روائعه ، وضاعت القصيدة . ولكنه هو لم يضع ؛ لأن مكانته عندى وعند أدباء العربية ونقادها لا تزال محفوظة ومذكورة .

وبعد : فهؤلاء هم شعراء مجمع الخالدين بمصر ، على اختلاف مذاهبهم فى الشعر ، وفى الخيال والوجدان ، والأداء ، والأسلوب .. وقد أربوا على الثلاثين شاعرًا ، وأرجو ألّا يكون أفلت منى شاعر مجمعى ، وإلّا فإن ذلك غير مقصود ولا متعمد ، فإنما الأعمال بالنيات ، والعصمة لله وحده .

محمد عبد الغنى حسن
عضو المجمع